أنموذجات من الخُطب المنسوبة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

(١١هـ_ ٥٤٠/ ٦٣٢م_ ٦٦١م) (دراسة تاريخية نقدية)

الباحث/ نايف ربيع مرزوق الجهني

باحث دكتوراه بقسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة بعض الخُطب المنسوبة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ودراستها دراسة تاريخية نقدية، وذلك من خلال عرض نصوص بعض الخطب، ثم تُذْكَر العلاقة بينها وبين الأحداث التاريخية التي كانت من عوامل ظهورها، مع بيان مدى صحتها، إضافةً لعرض بعض الخُطب التي يظهر ــ بشكل واضح ــ عدم صحتها، ونُسِبت في مصادر مختلفة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، مع ذكر الأسباب والشواهد التي تؤيد ذلك، ومن هذه الأسباب: وجود خُطب تخالف الروايات التاريخية الصحيحة في نفس الموضوع، كما أن بعضًا من هذه الخطب يعارض البعض الآخر في مضمونه؛ مما يجعلها محل نظر في الميزان النقدي.

Abstract:

This study deals with some of the sermons attributed to the Rightly Guided Caliphs, may God be pleased with them, and studies them in a critical historical study, by presenting the texts of some of the sermons, then we show the relationship between them and the historical events that were among the factors in their emergence, with an explanation of the extent of their authenticity, in addition to presenting some of the sermons that appear in a form It is clear that it is not authentic, and it was attributed in various sources to the Rightly Guided Caliphs, may God be pleased with them, with mentioning of the reasons and evidence that support this, and among these reasons are: the presence of sermons that contradict the correct historical narratives on the same subject, and some of these sermons contradict others in their content; Which makes it subject to consideration in the monetary balance.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،وبعد ....

كان لانتشار الإسلام في الجزيرة العربية وخارجها، وما رافقه من أحداث سياسية في المجتمع الإسلامي دور كبير في الحاجة إلى أن يوجه الخلفاء والولاة الخطب للعامة والخاصة من الناس، نحو القضايا السياسية أو الاجتماعية أو المالية، أو توجيه مجتمع ما أو فئة من الناس، أو للتحفيز في المواجهات العسكرية وغير ذلك، وقد وردت هذه الخطب في العديد من المصادر التاريخية والأدبية مثل: تاريخ الطبري، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، والعقد الفريد لابن عبد ربه والذي خصص جزءًا من كتابه لبعض هذه الخطب.

وعندما نستعرض بعض هذه الخطب في زمن الخلافة الراشدة ومن خلال عدة مصادر، والقيام بدراستها دراسة تاريخية نقدية؛ نجد فيها العديد من الجوانب التي لا تتوافق مع الواقع التاريخي، والذي يمكن استخلاصه من مصادر أخرى دونت تلك المدة من الزمن؛ حيث نجد أن بعض هذه الخُطب ألصقت بذلك العصر ما ليس فيه، من خلال رواية لخطب ضعيفة ومشوهة؛ وذلك إما بسبب الراوي، أو عدم استقامة الرواية ذاتها؛ مما يعطي القارئ تصورًا مغلوطًا عن مدة قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم:" خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"(١).

وما يميز مدة الخلافة الراشدة أن هناك مصادر يمكن من خلالها تتبع الروايات الصحيحة، ومقارنتها بالروايات التي وردت في المصادر التاريخية والأدبية، وعلى سبيل المثال من خلال كتب الصحاح أو المسانيد أو المصنفات؛ مما يعطينا تصورًا عن صحة الرواية أو الحدث، كما أننا يمكن أن نستنتج من هذه الخطب أثرها في الجوانب السياسية، والاجتماعية، والعسكرية ..... إلخ.

ولكل ما تقدم ذكره رأيت أن يكون عنوان البحث: أنموذجات من الخطب المنسوبة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم (١١هـ ــ ٤٠هـ/٦٣٢م ــ ٦٦١م) دراسة تاريخية نقدية.

مشكلة البحث:

تحوي العديد من المصادر خُطبًا للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وتم نقل هذه الخُطب على أنها من المُسلَّمات التاريخية، وعلى وجه الخصوص لدى بعض الباحثين المتأخرين، بينما الكثير من هذه الخُطب تحمل في مضامينها عدة أمور لا يراها إلا من يقرأ بعين الناقد الموضوعي، فمن هذه المضامين ما يشوه عصرًا يُعرف بأنه من أزهى العصور الإسلامية

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار الشعب، القاهرة ــ مصر، ط١: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، حديث رقم ٢٢٥٢، جـ٣، ص٢٢٤.

على الإطلاق بعد عهد النبي ﷺ، كما أن بعض هذه الخُطب يمكن استنباط تأثيراتها ودلالاتها بصورة غير مباشرة على جوانب تاريخية متعددة سواءً كانت سياسية، أو اجتماعية، أو مالية، بحيث يصعب التوصل لهذه الدلالات بشكل مباشر.

تساؤلات البحث:

يمكن أن نطرح سؤالًا رئيسًا يتفرع منه عدة تساؤلات على النحو التالي، وستكون إجابتها ضمن نتائج الدراسة بمشيئة الله:

هل جميع الخطب المنسوبة للخلفاء الراشدين ﷺ صحيحة؟

أ ــ إذا كان هناك خطب منسوبة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم غير صحيحة أو غير مقبولة فما أهم الأسباب التي أدت إلى وجود هذا النوع من الخطب؟

ب ــ كيف يمكننا الاستدلال على صحة الخطبة المنسوبة أو نفيها؟

أهمية الموضوع:

١ــ أن المصادر التاريخية والأدبية تحوي عددًا كبيرًا من خطب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وتحتاج هذه الخطب لدراسة تاريخية نقدية يمكن من خلالها معرفة ما يقبل من هذه الخطب وما يُرَد.

٢ــ نصوص هذه الخطب نستخلص منها عدة جوانب تتعلق بالنواحي السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية.... إلخ.

٣ــ تتجلى أهمية الموضوع بعدم الوقوف على دراسة علمية تناولت هذا الموضوع بالبحث والدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

١ــ الرغبة في تناول موضوع يقع ضمن مدة زمنية تُعد من أفضل العصور بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ــ الاستفادة المرجوّة والمتوقعة التي ستعود على الباحث والقارئ من خلال الاطلاع على العديد من المصادر والمراجع المتنوعة، والتي يمكن من خلالها إعطاء صورة أقرب إلى الصواب لعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

٣ــ الوقوف على خطب لا تتوافق مع الواقع التاريخي، وما عُرف عن عدالة الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم؛ ولذلك من الضروري نقدها تاريخيًا، كما أنه يمكن استنباط بعض الجوانب المختلفة من هذه الخطب والتي تتعلق بعدة جوانب سياسية، اجتماعية، اقتصادية.... إلخ.

أهداف الدراسة:

١ــ جمع ودراسة بعض الخطب المنسوبة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ونقد هذه الخطب والتحقق مما نُسب إليهم، مع بيان أثر هذه الخطب في جوانب متعددة.

٢ــ رد الشبهات التي قد ترد في بعض الخطب المنسوبة للخلفاء رضي الله عنهم، وعلى وجه الخصوص في المدة الزمنية الواقعة بين فتنة مقتل عثمان بن عفان حتى نهاية خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

٣ــ بيان أقوال بعض العلماء فيما يؤخذ على بعض المصادر التاريخية والرواة والتي نُقِلت من خلالهم خُطب عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

٤ــ إعطاء صورة تاريخية أقرب إلى الصواب عن عصر يُعد من أفضل العصور بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

حدود الدراسة:

لهذه الدراسة مجموعة من الحدود تتمثل بما يلي:

١. الحد الزماني: عصر الخلافة الراشدة (١١هـ ــ ٤٠ه/٦٣٢م ــ ٦٦١م)

٢. الحد المكاني: النطاق الجغرافي للدولة الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة.

الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي فإنني لم أقف على دراسة متخصصة ومستقلة تناولت هذه الخطب في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بدراستها دراسة تاريخية نقدية، وذلك من خلال البحث في الفهارس العلمية للرسائل الجامعية، وقواعد البيانات في شبكة الانترنت، أما الدراسات التي تناولت الموضوع من جانب آخر فمنها:

١ــ دراسة بعنوان (خطب الخلفاء الراشدين: دراسة وصفية أدبية تحليلية) وهي رسالة ماجستير في جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان كلية اللغة العربية للباحث الهادي عبد الله أبكر آدم ١٤٣٣ه/٢٠١٢م.

الفرق بين هذه الرسالة وموضوع الدراسة أن الرسالة العلمية تناولت نصوص خطب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بتحليل معانيها ومضامينها لُغويًا بالإضافة لتركيزها على الخصائص الفنية والفكرية للخطابة في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهذا يظهر جليًا في كافة فصول الرسالة بدايةً من الفصل الثاني، مما يدل على أنها اهتمت بالجانب اللغوي والأدبي، أما موضوع الدراسة فأنه يركز على التحقق من صحة هذه الخطب المنسوبة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من خلال الواقع التاريخي لتلك المدة، والمدون بالمصادر التاريخية وغيرها، والرد على بعض الشبهات التي قد ترد في بعض الخطب.

٢ــ دراسة بعنوان (خطب الخلفاء الراشدين الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم توثيق نصوصها ودراسة أدبية لمحتواها وشكلها) وهي رسالة علمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في تخصص الأدب والبلاغة للباحث علي دخيل الله العوفي ١٩٩٧م.

الفرق بين هذه الرسالة العلمية وعنوان الدراسة أن هذه الرسالة تختص بجانب الأدب والبلاغة ويظهر ذلك من عنوانها الرئيس وعناوين الأبواب والفصول، ومثال ذلك الباب الثالث والذي كان بعنوان الدراسة الفنية لخطب الخلفاء الراشدين الثلاثة. كما أن هذه الدراسة بالإضافة إلى أنها دراسة أدبية اقتصرت على الخلفاء الثلاثة الأول رضي الله عنهم.

ختامًا يجب أن نشير إلى أن هناك دراسات أخرى تم الوقوف عليها تناولت الخطب في عصر أحد الخلفاء الراشدين أو بعضًا منهم، وهي دراسات تختص بعلوم اللغة العربية أو الدراسات الإسلامية؛ حيث تناولت الموضوع من الجانب اللغوي وما فيه من أساليب بلاغية ومحسّنات بديعية أو وعظية دون دراستها وربطها بالأحداث تاريخيًا، ومن ثم نقدها وبيان صحتها وأثرها، وهذا دور ومجال الباحث التاريخي.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها الافتتاحية، ومشكلة الدراسة وأسئلتها، وبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهمية الدراسة وحدودها، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: تعريف الخطبة، وأنواعها، وارتباطها التاريخي في حياة العرب.

المطلب الأول: تعريف الخطبة وأنواعها.

المطلب الثاني: أهمية الخطبة تاريخيًا في حياة العرب والمسلمين.

المبحث الثاني: الخطبة وعلاقتها بالأحداث التاريخية في عصر الخلافة الراشدة.

المبحث الثالث: العوامل والأحداث التاريخية التي أسهمت في ظهور خطب لا يصح نسبتها إلى الخلفاء والولاة في العصر الراشدي.

المبحث الرابع: أهم الأسباب التي تؤيد الرأي بعدم صحة بعض الخطب، وأسباب وضعها ونسبتها.

الخاتمة: وتشتمل على مجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الفهارس العلمية:

فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث المنهج التاريخي النقدي، وذلك باتباع ما يلي:

١ــ جمع الخطب المنسوبة للخلفاء في عصر الخلافة الراشدة من المصادر المتعددة كتب السنة، والتاريخ، والأدب، وغيرها..

٢ــ دراسة روايات الخطب ومعرفة حال الراوي للتعرف على صحيحها وسقيمها.

٣ــ بيان علاقة الخطبة بالأحداث التاريخية وأثرها على الجوانب المتعددة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها.

٤ــ رد ما يرد من شبهات في بعض هذه الخطب، مما يتعارض مع الحقائق التاريخية أو ما عُرف من عدالة الخلفاء الراشدين والصحابة ﷺ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: تعريف الخطبة وأنواعها، وارتباطها التاريخي في حياة العرب.

المطلب الأول: تعريف الخطبة وأنواعها:

الخُطبة في اللغة:

يُقال خَطَب الخاطبُ على المنبر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطْبَة، خَطَبْتُ عَلَى المِنْبَرِ خُطْبَةً، بِالضَّمِّ، وخَطَبْتُ المرأَةَ خِطْبَةً، بالكَسْرِ [١].

الخُطبة اصطلاحًا:

تعددت تعريفات الخطابة اصطلاحًا؛ إلَّا أنها في مجملها تحمل في مضمونها المعنى نفسه، ومن هذه التعريفات:

١ــ كلام يُحَاوَلُ به إقناع أصناف السامعين بصحة عرض يقصده لفعله أو الانفعال به [٢].

٢ــ الْكَلَام الْمُؤلف المتضمن وعظًا وإبلاغًا [٣]، ويظهر من هذا التعريف أنه يُركّز على الخطبة الدينية على وجه الخصوص.

٣ــ وقيل أنها: قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم [٤].

ويمكن أن نستنتج من هذا التعريف فائدة هامة من قولهم:(من شخص معتقد فيه) أي أن الخطيب لن يؤثر في سامعيه مالم يكن له قبول لدى السامعين، بصرف النظر عن نوع التأثير ــ الذي يريد الوصول إليه ــ ديني، سياسي، اجتماعي.... إلخ ــ

أنواعها:

١ــ الخطب السياسية:

كان للأحداث السياسية في عهد الخلفاء الراشدين دور كبير في ظهور الخطبة السياسية، وكانت تأتي في كثير من الأوقات بصورة غير مقصودة، نتيجة موقف أو حدث طارئ؛ يستوجب مخاطبة العامة، ولعل أبرز مثال على ذلك هو وفاة النبي ﷺ، وما تبعه من ضرورة اختيار خليفة من بعده [٥]، كما ظهرت الحاجة إلى الخطبة عند تولي منصب الخلافة؛ حيث يوضح الخليفة المنهج العام للحكم والخطوط العريضة التي سيسير عليها؛ إلَّا أن ما يميز خطب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم عند توليهم الخلافة أنهم يُقرّون مبدأ الشورى، وعدم الاستبداد بالرأي، والسير على سنة من كان قبلهم[٦]، كما يظهر فيها بشكلٍ

---

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣: ١٤١٤ه، ج١، ص٣٦١. الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨: ١٤٢٦ه/٢٠٠٥، ج١، ص٨١.

(٢) ابن عاشور: محمد الطاهر، أصول الإنشاء والخطابة، تحقيق ياسر حامد، دار المنهاج، الرياض، ط١: ١٤٣٣هـ، ص٣٣.

(٣) النووي: محيي الدين يحيى بن شرف، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق ياسر عبد الغني، دار القلم، دمشق، ط١: ١٤٠٨ه، ص٨٤ ــ ٨٥.

(٤) الجرجاني: علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م، ص٩٩.

(٥) سنأتي على تفاصيل هذا الحدث ــ بإذن الله ــ في موضع قادم من الدراسة، ولمعرفة الخُطب والحوارات التي دارت لاختيار خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحداث سقيفة بني ساعدة. ابن حنبل: أحمد بن محمد، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م، ج١، ص٤٥١.

(٦) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢: ١٣٨٧هـ، ج٣، ص٢٢٤.

جلي ثناء كل خليفة على من سبقه من الخلفاء رضي الله عنهم، وفي هذا لا شك دلاله على فضلهم، كما ينفي ما يثار من شبهات حول خلافتهم [١].

٢ــ الخطب في الكوارث والأزمات:

مرت على المسلمين في عصر الخلافة الراشدة بعض السنوات التي حدثت ظروف مفاجئة؛ كالمجاعات أو انتشار بعض الأمراض، ولعل عام المجاعة الذي عُرِف بعام الرمادة من أبرز هذه الأحداث والكوارث الطبيعية التي حلت بالمسلمين، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٢]؛ لذا كانت الحاجة مُلِحَّة لأن يخرج الخليفة لمخاطبة الناس لتوضيح ما ينبغي أن يفعلوه، ويوضح أسلوب التعامل مع هذا الحدث؛ للخروج ــ بإذن الله ــ من هذه الأزمة.

وعندما نزل بالناس في الشام طاعون عمواس، توالت خطب الولاة في الناس بهذا الشأن؛ إلَّا أن خطبة عمرو بن العاص رضي الله عنه كانت من أشهرها، وقد كان لها الأثر البالغ ــ بعد مشيئة الله تعالى ورحمته ــ في التعامل الصحيح مع هذا الوباء [٣].

٣ــ الخطب العسكرية:

هذا النوع من الخطب كثيرًا ما يستخدم في الفتوح، والمواجهات العسكرية، والهدف الأساسي منه تحفيز الجند ورفع الروح المعنوية لديهم، وبث الحماس، والتذكير بفضل الجهاد في سبيل الله وتلاوة آياته؛ مما ينعكس على نتيجة المعركة في الغالب، كما يستخدم للتوجيهات العسكرية، وأساليب معاملة القادة للجند [٤]، وما يميز هذا النوع من الخطب أنه مختصر؛ لأن المقام لا يسمح بالإطناب.

٤ــ خطب خاصة بالوفود:

يستخدم هذا النوع من الخطب في حضرة الخلفاء والملوك، وهو أشبه ما يكون بنظام وتقليد من تقاليد الرئاسة؛ حيث يكون الخطيب ممثلًا ومتحدثًا رسميًا عمن أَوْكَل إليه هذه المهمة، ويلاحظ في هذا النوع من الخطب أن المتحدث من الوفد حتى وإن حضر نتيجة خلاف سياسي بين طرفين؛ إلَّا أنه في خطابه يختار من الكلمات ما يناسب هيبة المُلك، حتى وإن لم يجد ردًا مناسبًا لِما حضروا من أجله، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك خطبة المغيرة بن زرارة في حضرة ملك الفرس، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال:

---

(١) عندما تولى الخلافة عمر بن الخطاب أثنى في خطبته على أبي بكر الصديق، وعندما تولى الخلافة عثمان بن عفان أثنى في خطبته على أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين. الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الاخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤١٨ه، ج٢، ص٢٥٥.

(٢) كانت الرمادة أو عام الرمادة: جوعا أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكتهم حتى جعلت الوحش تأوي إلى الأنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وإنه لمقفر، وكانت في أواخر سنة ١٧ه، وأول سنة ١٨ه. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٩٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٦٢.

(٤) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه خطبة لولاته في كيفية تعاملهم مع من هم تحت إمرتهم وكيفية تسييرهم في أرض العدو وللاطلاع على الخطبة. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٠٤.

" أيها الملك، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، ويفخم الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك" (١).

٤ــ خطب خاصة بالسياسة المالية:

كان الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من أشد الناس حرصًا على المال العام؛ ولذلك كانوا يولون الجانب المالي أهمية كبرى في خطبهم؛ والهدف من ذلك أن يعرف العامة من الناس أوجه التعامل مع المال العام، والطرق التي يتم فيها صرفه، ويظهر ذلك جليًا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ حيث تعددت موارد بيت المال، وعلى الرغم من ذلك لم يميز أحدٌ من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم نفسه عن بقية الناس في هذا المال، وقد كان عمر رضي الله عنه يخطب وهو يحلف على أيمان ثلاث: فيقول: "والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد، وما أنا بأحق به من أحد، والله ما من المسلمين أحد إلا وله في هذا المال نصيب" (٢).

ويظهر من هذا الأسلوب وهو صعود المنبر، والحديث أمام العامة من الناس عن السياسة المالية أن من أهم أهدافه:

١ــ طمأنه الناس بأن مصارف المال العام ستذهب إلى الوجه الذي تستحقه.

٢ــ بيان عدم انفراد الخليفة بمزايا مالية عن غيره من عامة الناس.

٣ــ المحاسبة والرقابة على المال العام.

ويبدو أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بهذا الأسلوب قد سنّوا هذه السنة للخلفاء من بعدهم في المحاسبة المالية ممن سار على نهجهم، ولعل الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ خير مثال على ذلك، فكان في إحدى خطبه يقول مقتديًا بهم: "أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا، والله ما كان لهم أن يعطوناها، وما كان لنا أن نقبلها، وأرى الذي قد صار إلي ليس علي فيه دون الله محاسب، ألا وإني قد رددتها وبدأت بنفسي وأهل بيتي" (٣).

٥ــ خطب خاصة بتولية العمال وتنحيتهم:

كان الخلفاء الراشدين عندما يعينوا العمال والولاة كثيرًا ما يوصوهم أمام الناس ويكون ذلك بصورة خطبة؛ ولعل الهدف من ذلك أن يبينوا للوالي مدى الصلاحيات الممنوحة له، ويبينوا للناس مالهم وما عليهم، ونلاحظ من خلال تتبع الخطب الخاصة بذلك أن الولاة

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٩٩.

(٢) ابن حنبل: المسند، ج١، ص٣٨٩.

(٣) الفسوي: يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١: ١٤١٠ه، ج١، ص٦١٦.

والعمال لم يكن لهم الصلاحية المطلقة بالتصرف، بل هناك رقابة عليهم، ويتجلى ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهم [١].

المطلب الثاني: أهمية الخطبة تاريخيًا في حياة العرب والمسلمين.

كان العرب يولون الخطبة والخطيب أهمية بالغة؛ وذلك لأن الخطيب لسان قومه، والمتحدث باسمهم، وكانت ترمز إلى العقل والسيادة في القوم، وكانوا يجعلون مثل هؤلاء الخطباء ألسنتهم الناطقة إذا تفاخروا أو حضروا المجالس أو تفاوضوا في أمر، أو أرادوا تأجيج نيران الحروب، أو عقد صلح، أو البت في أمر جلل؛ ولذلك صارت الخطابة من أمارات المنزلة والمكانة؛ فصارت في ساداتهم وأشرافهم الذين يتكلمون باسمهم في المحافل والمجامع العظام[٢]، وقد وصل الأمر ــ فيما روي ــ مما يدل على منزلة الخطيب عند العرب في العصر الجاهلي أن جعلوا من وفاة خطيبهم تاريخًا يؤرخ به[٣].

أما إذا أردنا أن نورد الأمثلة على ذلك فسنجد من الأسماء مالم يمكن الإحاطة به، ولذلك سنكتفي بذكر أحد هؤلاء والذي عاش فترة ما قبل الإسلام وبعده وهو سهيل بن عمرو [٤]، وكان سهيل بن عمرو أحد أشراف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم، أُسِر يوم بدر كافرًا، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله، أنزع ثنيتيه، فلا يقوم عليك خطيبًا أبدا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " دعه يا عمر، فعسى أن يقوم مقامًا تحمده عليه "، فكان ذلك المقام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ارتجت مكة، لما رأت قريش من ارتداد العرب، واختفى عتاب بن أسيد الأموي أمير مكة للنبي ﷺ فقام سهيل بن عمرو خطيبًا، فقال: يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم، وأول من ارتد، والله إن هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما ....، وثبتت قريش على الإسلام [٥].

ومن هذه الرواية يظهر لنا أهمية الخطبة تاريخيًا على مسار الأحداث السياسية، وكيف غيرت خطبة سهيل بن عمرو ــ بعد مشيئة الله ــ الأحداث، كما تُظهِر لنا أيضًا جانب من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإدراكه لأهمية الخطيب على جوانب عدة ومنها السياسي، وذلك بتركه سهيل بن عمرو رجاء أن ينفع الله به المسلمين.

ولم تكن الخطبة في حياة العرب والمسلمين مجرد كلمات بليغة منمقة تُظْهِر بلاغة صاحبها فحسب، إلا أن لها مدلولات ونتائج سياسية واجتماعية ودينية؛ حيث يكون فيها

---

(١) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه خطبة مفصلة في ذلك يُنظر: ابن حنبل: المسند، ج١، ص٣٨٤.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، دار الساقي، بيروت، ط٤: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١، ج١٦، ص٤١٦.

(٣) ذكر الجاحظ أن كعب بن لؤي وكان يخطب العرب عامة، ويحض كنانة خاصة على البر لما مات أكبروا موته، فلم تزل كنانة تؤرخ بموته حتى عام الفيل. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ــ مصر، ط٧: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج١، ص٣٥١.

(٤) يكنى أبا يزيد، كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية، أُسر يوم بدر كافرًا، وكان خطيب قريش، استشهد رضي الله عنه باليرموك. وقيل: بل مات في طاعون عمواس. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٦٦٩ ــ ٦٧٢.

(٥) ابن هشام: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، القاهرة ــ مصر، ط٢١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج١، ص٦٤٩. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص٥٨٥.

اجتماع وافتراق، وحرب وسِلم، وطاعة وعصيان، حتى وُصف البعض منهم أنه " لو بـوَّق بليل لوافاه عشرون ألفًا، لا يقولون: لم دعوتنا ولا يسألونه"(١).

المبحث الثاني: الخطبة وعلاقتها بالأحداث التاريخية في عصر الخلافة الراشدة.

تعددت الأسباب التي أدت إلى ظهور الخطب في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وجعلت منها أمرًا حتميًا لمعالجة تلك الأحداث؛ ولذلك لم تكن في تلك المرحلة تأخذ الشكل الأدبي الذي يحاول فيه صاحب الخطبة إثبات بلاغته أو مهارته اللغوية، وكان من تلك الأسباب التي ربطت معظم الأحداث بخطب ما يلي:

١ــ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حدثًا جللًا، ومن غير الممكن أن يكون هذا الحدث عاديًا دون أن يترك أثره على جوانب متعددة اجتماعية، وسياسية، ودينية، ولذلك لابد لنا أن نصف حال المجتمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليظهر لنا كيف أصبحت الحاجة ملحة إلى وجود من يوجه خطبه للمجتمع في ذلك الوقت، لكي يتجاوز هذا الحدث بسلام.

أصيب المجتمع بذهول من هول الحدث، وقد وصف أنس بن مالك رضي الله عنه ذلك بقوله: "شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوما قط، كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشهدته يوم موته، فما رأيت يوما كان أقبح، ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٢). حتى أن هذا الحدث لم يكن مؤثرًا على عامة الناس فحسب، بل على كبار الصحابة أنفسهم، حيث روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام في ذلك اليوم فقال: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت، ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى أربعين ليلة عن أربعين ليلة، والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين، وألسنتهم يزعمون أو قال يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات "(٣)

كما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يُحَدِّثُ فيقول: أن رجالًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي النبي صلى الله عليه وسلم حزنوا عليه، حتى كاد بعضهم يوسوس، قال عثمان رضي الله عنه: وكنت منهم، فبينا أنا جالس في ظل أطم (٤) من الآطام مرَّ علي عمر، رضي الله عنه، فسلم علي، فلم أشعر أنه مر ولا

---

(١) وُصف بذلك الكوثر بن زفر الكلابي أحد زعماء قيس، ووردت هذه العبارة في الكامل بلفظ " لو ثور بليل ". الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٦. ابن الأثير: عز الدين أبـو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٤، ص١٥٨.

(٢) الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي، تحقيق حسين سليم، دار المغني، الرياض، ط١: ١٤٢١ه/٢٠٠٠م، ج١، ص٢٢٣.

(٣) الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٢: ١٤٠٢ه، ج٥، ص٤٣٣.

(٤) أطم: الأُطُم: حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مُسطَّح، وقيل: الأطم مثل الأجم، يخفف ويثقل، والجمع القليل آطام وآجام. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص١٩.

سلَّم"[١]. أما الصورة العامة للمجتمع الإسلامي وعلى وجه الخصوص في المدينة فقد وصفها أبو ذؤيب الهذلي [٢] بقوله: " قدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج إذا أهلوا بالإحرام. فقلت: مه قالوا: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت إلى المسجد فوجدته خاليا"[٣].

ومن خلال ما سبق من وصف لحال المجتمع بالمدينة يتبين كيف أدرك أبو بكر الصديق رضي الله عنه الحاجة لمخاطبة الناس بما فيهم كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: " أما بعد من كان منكم يعبد محمدًا صلى الله عليه وسلم فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ...."[٤].

وقد وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثر خطبة أبي بكر الصديق فيه والآية التي تلاها في ذلك الموقف فقال: "والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات"[٥].

٢ــ يوم السقيفة.

كما سبق وأن ذكرنا بأن معظم الخطب في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لم تكن مُعدة مسبقًا؛ حيث كانت وليدة اللحظة، فبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن صلى الله عليه وسلم قد عهد بالخلافة لأحد من بعده، فكان لابد من التشاور بين الصحابة رضي الله عنهم، وهذا التشاور لا يكون إلاً أن يرشح كل طرف خطيبًا يوضح ما لديه ليقنع به الطرف الآخر، فيكون ذلك عن تراض؛ ولذلك عزم المهاجرون على الحوار، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، ورفض نصيحة من قال: "لا عليكم أن لا تقربوهم، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين"[٦]، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم على مالا ترضى، وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد"[٧]. ومن هنا ظهرت أهمية الخطابة في ذلك الموقف، وتحكيم الحوار لا فرض الرأي.

---

(١) ابن حنبل: المسند، ج١، ص٢٠١.

(٢) قيل: اسمه خويلد بن خالد ابن محرث بن زبيد بن مخزوم، وقال ابن الكلبي: هو خويلد بن محرث، من بنى مازن بن سويد ابن تميم بن سعد بن هذيل. كان مسلمًا على عهد رسول صلى الله عليه وسلم ولم يره ولا خلاف أنه جاهلي إسلامي قيل: كانت وفاته في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وقيل: إنه مات في غزوة إفريقية بمصر منصرفًا بالفتح مع ابن الزبير، فدفنه ابن الزبير ونفذ بالفتح وحده. وقيل: إن أبا ذؤيب مات غازيًا بأرض الروم. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٦٤٨ ــ ١٦٥٠.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٦٤٩.

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، حديث رقم ٤٤٥٤، ج٦، ص١٧.

(٥) البخاري: الجامع الصحيح، حديث رقم ٤٤٥٤، ج٦، ص١٧. ابن حنبل: المسند، ج٤٣، ص٣٦.

(٦) ابن حنبل: المسند، ج١، ص٤٥٢.

(٧) ابن حنبل: المسند، ج١، ص٤٥٣.

٣ــ حروب الردة.

رغم قِصَر زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلَّا أن هذه المدة كانت فيها أحداث كبيرة وبارزة، ومنها حروب الردة، وبلغ من حجم الردة في جزيرة العرب أن وصفت عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها أن قالت:" لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق، والله لقد نزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة"(١).

وفي قول عائشة رضي الله عنها: " ارتدت العرب قاطبة " لا يُقصد فيه أن جميع العرب ارتدت لأن هناك من ثبت على الإسلام(٢)، ولكن في هذا وصف لكثرة أعداد من ارتد من العرب، ووصف لكِبَر المساحات الجغرافية التي شملتها حركة الردة.

ومن هنا يمكن القول: أن الحل العسكري بلا شك سبب رئيس في حل هذه المشكلة، ولكن لا يعتبر كافيًا بمفرده، ولذلك مما يؤخذ على بعض الباحثين في موضوع الردة أنهم أغفلوا دور زعماء القبائل وسادتهم في الخطابة في قومهم، إما بثنيهم عن الردة أو بتحفيزهم واستنفارهم مع قادة الألوية التي أرسلها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والروايات التاريخية في هذا الشأن تؤكد هذا القول.

وكان من هؤلاء السادة ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه(٣)، حيث وقف متكلمًا في قومه يثنيهم عن الانضمام للمرتدين، وسماع كلام المتنبئين، فكان من نتائج خطبته أن تبعه عدد من المسلمين، فكان ذلك ــ كما ذكر ابن عبد البر ــ "مما قد فت في أعضاد عدوهم"(٤).

أما في البحرين فكان زعيم بني عبد القيس الجارود بن المعلى(٥) حينما علم بردة قومه، وبعد أن عرف مبررات ارتدادهم ــ كما رأوها ــ وقف بهم خطيبًا مقابلًا الحجة بالحجة، وكان قد بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد نبيًا لم يمت. فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فإن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فأسلموا

---

(١) ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد، المصنف، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١: ١٤٠٩ه، ج٧، ص٤٣٤. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، الجيزة ــ مصر، ط١: ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م، ج٩، ص٤٢٣.

(٢) السيف: عبد الله محمد ناصر، الثابتون على الإسلام في شرق الجزيرة العربية أثناء حركة الردة، مجلة دارة الملك عبد العزيز، مجلد٣٠ / العدد ١، محرم ٢٠٠٤م.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج١، ص٢١٣.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج١، ص٢١٦.

(٥) هو الجارود بن المعلى بن العلاء، وقيل هو الجارود ابن عمرو بن العلاء، يكنى أبا غياث، وقيل أبا عتاب، وكان سيدًا في بني عبد القيس رئيسًا، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة عشر الجارود في وفد عبد القيس، وكان نصرانيًا فأسلم وحسن إسلامه يروى أنه قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن. وذلك سنة ٢١ه. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ج١، ص٢٦٣.

وثبتوا على إسلامهم[١]، ومن هؤلاء السادة أيضًا الذين كان لهم مواقف جليلة خويلد بن ربيعة العقيلي، من بني عامر، حيث يروى أنه خطب قومه بني عامر، وأمرهم بالثبات على الإسلام[٢]، ووقف في الأزد عامر بن الطفيل بن الحارث يحرض قومه وينهاهم عن الردة[٣]، فكان لموقف هؤلاء عدة نتائج يمكن استخلاصها على النحو الآتي:

١ــ استطاع بعض رؤساء القبائل والزعماء أن يثنوا أقوامهم من خلال خطبهم فيهم عن الردة؛ مما منع جيوش الخلافة من الدخول في مواجهات عسكرية كبيرة ومتعددة لا يُعْلَم نتائجها.

٢ــ انسحاب بعض الجماعات عن المرتدين أضعف الروح المعنوية لدى المرتدين مما جعل من الحل العسكري ممكنًا.

٣ــ طاعة بعض الأقوام لرؤسائهم ــ بعد أن وقفوا خطباء فيهم ــ وانضمامهم تحت راية الخلافة فتت النطاق الجغرافي لحركة الردة، والتي كان نطاقها متصلًا، بل تمكن من التوغل في قلب المناطق الجغرافية التي شكلت خطرًا؛ إما لقوة حركة الردة فيها مثل اليمامة، أو لبعد المسافة عن عاصمة الخلافة، مما يُشكل صعوبة في وصول الإمدادات.

ختامًا في هذا الشأن يمكن القول:

أن هذه الخطب تركت أثرًا في الناس وثنت البعض منهم عن الردة دون تكاليف مادية أو بشرية وفي وقت وجيز، وهذا لا يتحقق في الحل العسكري.

٣ــ خطب الناقمين على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأثرها في تأليب الناس عليه.

قبل الحديث عن الخطب وعلاقتها وأثرها على أحداث الفتنة في زمن عثمان رضي الله عنه، وهي المدة التي عُرفت بفتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، يجب التعريف أولًا بفئة الخوارج والتي بدأ ظهور أثرها على الأحداث في تلك المدة، وعلى الرغم من كثرة التعريفات للخوارج إلا أنها في المجمل تحمل المعنى نفسه؛ ولذلك سيكتفى بذكر اثنين من هذه التعريفات.

قال الشهرستاني (ت: ٥٤٨): هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٢.

(٢) ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٥ه، ج٣، ص٤٧٣.

(٣) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٤٧٣.

على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان [١].

وقال ابن حجر (ت:٨٥٢): هم جمع خارجة أي طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين[٢].

ويظهر ــ من خلال تتبع الروايات التاريخية ــ أن أول خطبة دُعي فيها الناس لحمل السلاح ونزع الطاعة من الولاة في زمن عثمان ﷺ واستجاب البعض من الناس لتلك الخطبة هي خطبة مالك النخعي[٣]، والذي نادى بطرد والي عثمان رضي الله عنه على الكوفة بقوة السلاح، فقد روى الطبري في أحداث سنة ٣٤ه عن عمير بن سعد النخعي[٤] أنه قال: "كأني أنظر إلى الأشتر مالك بن الحارث النخعي على وجهه الغبار، وهو متقلد السيف، وهو يقول:

والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا– يعني سعيدًا[٥]، وعُرِفَ ذلك اليوم بيوم الجرعة، والجرعة مكان مشرف قرب القادسية– وهناك تلقاه أهل الكوفة [٦].

أما بداية ظهور أثر خطب الخوارج والناقمين على الخلافة بشكل عام في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ارتبط بظهور رجل يدعى عبد الله بن سبأ[٧] وكان يهوديًا من أهل صنعاء، فأسلم زمان عثمان رضي الله عنه، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر[٨].

---

(١) الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة ــ مصر، ١٣٨٧ه/١٩٦٨م، ج١، ص١١٤.

(٢) ابن حجر: أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه، ج١٢، ص٢٨٣.

(٣) الأشتر مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف والأبطال المذكورين. فقئت عينه يوم اليرموك، وكان مطاعًا ألب على عثمان، وقاتله، وكان ذا فصاحة وبلاغة. شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وتميز، ولما رجع علي رضي الله عنه من موقعة صفين، جهز الأشتر واليًا على مصر، فمات في الطريق مسموما. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ه/١٩٨٥، ج٤، ص٣٤.

(٤) ذكره ابن حبان في الثقات وقال هو: عمير بن سعيد أبو يحيى النخعي من أهل الكوفة روى عن سعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر روى عنه مطرف بن طريف مات سنة سبع ومائة في إمارة عمر بن هبيرة وقد قيل عمير بن سعد.

ابن حبان: محمد بن حبان، الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ــ الهند، ١٣٩٣ه/١٣٧٣م، ج٥، ص٢٥٢.

(٥) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية. ولد عام الهجرة وقيل: في السنة الأولى للهجرة، وكان سعيد من أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا لعثمان رضي الله عنه المصحف، واستعمله عثمان رضي الله عنه على الكوفة، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٥٩ ه. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٦٢١ ــ ٦٢٢ ــ ٦٢٣.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٣٥.

(٧) دار حول إثبات حقيقة شخصية ابن سبأ جدل بين الباحثين، وهناك العديد من الدراسات أثبتت صحة وجودها وعللت لماذا نفاها آخرون. ولمعرفة تفاصيل ذلك أنظر: غبان: محمد عبد الله عبد القادر، فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢: ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م، ج١، ص١٤٣ وما بعدها.

(٨) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٤٠.

استطاع عبد الله بن سبأ أن يستميل بعضًا من الناس بخطبه، وقُبل عنه ما قال ثم أمر الناس بأن يقوموا متكلمين ويطعنون بأمرائهم معللًا ذلك بقوله: "تستميلوا الناس"، وهم بذلك يريدون غير ما يظهرون ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ ويسرون غير ما يعلنون [١].

استمرت هذه الفئة من الناس بنفس الأسلوب حتى " أوسعوا الأرض إذاعة" مما نتج عنها إثارة الغوغاء على عثمان بن عفان رضي الله عنه انتهت باستشهاده [٢].

أسهمت خُطَب عبد الله بن سبأ في قبول الناس لفكرة عدم أحقية عثمان رضي الله عنه في الخلافة، ومن ثم قام من اقتنعوا بذلك في تأليب الناس على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ورميه بما ليس فيه من الشائعات حتى اضطرب المجتمع الإسلامي، انتهى ذلك بقتله شهيدًا مظلومًا، كما كان من نتائجها أن كانت نواةً لعدم استقرار المجتمع الإسلامي، وما صاحبه من حروب وفتن استمرت حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

٤ــ استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والانقسام السياسي بعده.

كان لاستشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أثر كبير في الانقسام السياسي؛ مما أدى إلى ظهور اتجاهات سياسية متضادة، وما نتج عنها من أحداث هامة مثل وقعة الجمل، ومعركة صفين؛ ولذلك نلاحظ في المدة الواقعة بين استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى نهاية عصر الخلافة الراشدة كثرة الخطب التي تتعلق بهذه الأحداث، ولم يكن لهذه الخطب أن تظهر أو تدون دونما هذه الأحداث؛ ولذلك نستطيع القول: أن الأحداث السياسية أَثْرَت المكتبة التاريخية والأدبية، وكان الشكل العام لمعظم هذه الخطب بأنها أشبه ما تكون بمناظرات سياسية لتعزيز موقف مقابل موقف آخر.

٥ــ خطب للإخبار بأحداث تاريخية مستقبلية في العصر الراشدي هي من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم.

هذا النوع من الخطب تميز به العصر الراشدي عن غيره من العصور، فقد وردت مجموعة من الخطب التي تصرح بحدوث وقائع تاريخية مستقبلية في العصر الراشدي يُروَى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنها أصحابه رضي الله عنهم، ومن الأمثلة على ذلك خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يظهر من نصها أنها كانت في

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٤٠ ــ ٣٤١ ــ

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٤١ ــ ٣٤٥.

أواخر عهده رضي الله عنه يقول فيها: "اللهم إني قد سئمتهم، وسئموني، ومللتهم، وملوني، فأرحني منهم، وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم؟ ووضع يده على لحيته" (١).

وهذا النوع من الخطب يمكن أن نستنتج منه دلالات متعددة فيها ما هو خاص وعام ومنها:

أولًا: تصديق الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم التام بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: الإيمان المطلق بالله عز وجل شأنه، والتسليم بقضائه.

ثالثًا: لم تكن أمور الدنيا بما فيها منصب الخليفة تعني شيئًا للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

٦ــ خطب توضح العلاقة بين الخليفة ومن سبقه من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

هذا النوع من الخطب هو في غاية الأهمية لدارس التاريخ، لأننا في هذا النوع من الخطب نستنتج دلالات هامة، وهي تأكيد العلاقة الوطيدة وروح الأخوة بين الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والتي توافقها أحاديث وروايات تاريخية صحيحة، وفيها رد على بعض الروايات التاريخية التي تزعم أنه حدث في بعض الأوقات تنافس على منصب الخليفة، ومن الأمثلة على هذا النوع من الخطب ما أورده الدينوري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر وقال: " ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر، ثم نزل عن مجلسه ...." (٢)، وهذه الخطبة وإن لم يأتِ الدينوري بإسناد لها فإنها صحيحة بالمعنى ولها ما يؤيدها فقد روى البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول رضي الله عنه: "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا"(٣).

أما علاقة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد وصفها ابن تيمية بأنه روي أكثر من ثمانين وجهًا بأن علي رضي الله عنه، قال على منبر الكوفة ــ وهذا يعني أنه في خطبة ــ قال: " لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"(٤).

وما يؤيد هذه الخطبة ما رواه البخاري في صحيحة عن ابن عباس أنه قال: "وُضِع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا علي فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أني كنت كثيرًا أسمع

(١) الصنعاني: المصنف، ج١٠، ص١٥٤.

(٢) الدينوري: عيون الأخبار، ج٢، ص٢٥٥.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، حديث رقم ٣٦٨٥، ج٥، ص١٤.

(٤) ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٤، ص٤٢٢.

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا، وأبو بكر وعمر ودخلت أنا، وأبو بكر وعمر وخرجت أنا، وأبو بكر وعمر"[١]، وروي عن محمد ابن الحنفية، أنه قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أبو بكر قلت ثم من قال: ثم عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٢].

المبحث الثالث: العوامل والأحداث التاريخية التي أسهمت في ظهور خطب لا يصح نسبتها إلى الخلفاء والولاة في العصر الراشدي.

عند الحديث عن الخُطب في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم يجب أن نشير إلى نقطة مهمة وهي أنه عند قولنا: "الخُطب المنسوبة" فنحن هنا لا نعني بكلمة منسوبة أنها غير صحيحة في مجملها على الإطلاق؛ لأنها بكل أحوالها كانت صحيحة أم لم تكن فهي نُسبت إلى الخلفاء والولاة في عصر الخلافة الراشدة من خلال المصادر التي أوردتها، وإذا أردنا أن نتعرف على مدى صحة هذه النسبة يتعين علينا دارستها دراسة نقدية مستوفية شاملة؛ ولذلك قسمَّنا الخطب في الميزان النقدي ــ كما ظهر لنا من خلال دراستها ــ إلى ثلاثة أقسام:

١ــ خطب بلا سند، أو في إسنادها ضعف، ولكن مضمون متنها يوافق الروايات التاريخية الصحيحة، أو ما عُرف من عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فيمكن اعتبارها أقرب إلى الصحة حتى وإن كان صاحب الرواية أو المصدر فيه نظر.

ومثال على ذلك: خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في وقعة الجمل وهو يوصي أصحابه ويقول:" لا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا، ولا تدخلوا دارا إلا بإذن، ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة، وإن شتمن أعراضكم، وتناولن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس والعقول، ولقد كنا وإنا لنؤمر بالكف عنهن وهن مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد فيعير بها عقبه من بعده "[٣].

وهذه الخطبة على الرغم من أن ابن أبي الحديد يرويها عن نصر بن مزاحم[٤] وهو من الضعفاء والمتروكين في الحديث إلاَّ أنها تصح بالمعنى، حتى لو لم تثبت بالنص؛ فإن الصحابة عامة، والخلفاء الراشدين خاصة لا شك أنهم استنوا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتحلوا بأخلاقه، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا

(١) البخاري: الجامع الصحيح، حديث رقم ٣٧٥٤، ج٥، ص٣٣.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، حديث رقم ٣٦٧١، ج٥، ص٩.

(٣) ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧٩ه، ج٤، ص٢٦.

(٤) نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار قال أبو خثيمة: كان كذابا، وقال أبو حاتم الرازي: واهي الحديث متروك الحديث، وقال الدراقطني: ضعيف. ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٠٦ه، ج٣، ص١٦٠.

أمر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: " اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا .... "[١].

٢ــ خطب يوجد في متنها بعض الكلمات أو العبارات التي فيها نكارة.

ومثال ذلك: ما ذكره الجاحظ أن عثمان بن عفان رضي الله عنه صعد المنبر عندما تولى الخلافة فارتج عليه فقال: " إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالًا وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون إن شاء الله"[٢]، وهذه الخطبة وردت أيضًا في نفس المعنى في كتاب العقد الفريد، ولكن بنص مختلف، ومما ورد فيها " إن أول مركب صعب"[٣]، كما وردت أيضًا في عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري وفيها: "إن أول مركب صعب"[٤].

أما فيما يتعلق بإسناد هذه الخطبة فقد علَّق عليه ابن كثير بالقول: " فهو شيء يذكره صاحب العقد وغيره، ممن يذكر طرف الفوائد، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه، والله أعلم" [٥]، هذا بالنسبة للإسناد، أما العبارة التي نرى فيها نكارة هي ما نسب إلى عثمان رضي الله عنه بأنه قال: "إن أول مركب صعب"، وفي مدلول هذه العبارة أنه رضي الله عنه لم يستطع مخاطبة الناس لأنه لم يعتد على العمل السياسي ومواجهة العامة، بينما ذلك يخالف السيرة الشخصية لعثمان رضي الله عنه؛ فقد مارس العمل السياسي منذ العهد النبوي، فقد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش لمفاوضتهم في صلح الحديبة على الرغم من وجود كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وفي مدة كان العداء بين مشركي مكة والمسلمين في ذروته، فكان هو المرشح بينهم، وقام بالمهمة على أكمل وجه، ولم يتردد في ذلك، ولم يهاب الموقف[٦]، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمله على المدينة مرتين فيما روي[٧].

كما يجب أن نشير إلى ملاحظة مهمة فيما يخص هذه الخطبة، فمما يلفت الانتباه في كتاب عيون الأخبار، والذي جمع بعض الخطب للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أننا لم نقف على خطب أخرى لعثمان بن عفان رضي الله عنه في هذا الكتاب، عدا هذه الخطبة؛ مما يثير عدة تساؤلات أهمها: لماذا لم يأت ابن قتيبة في كتابه إلا بهذه الخطبة؟

---

(١) مسلم: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١: ١٤١٢ه/١٩٩١م، ج٣، ص١٣٥٧.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٣٤٥.

(٣) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٤:١ه، ج٤، ص٢٣١.

(٤) الدينوري: عيون الأخبار، ج٢، ص٢٥٥.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٢١٦.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٣١٥.

(٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٤٦ ــ ٢٠٣.

وقد يتبادر لذهن القارئ عندما يرى هذه الخطبة وقد تكررت في مصدرين هما: "عيون الأخبار" و "العقد الفريد" بأن فيها شيئًا من الصحة؛ لأنها وردت عند غير واحد نقول: أن هذين الكتابين يظهر فيهما أن ابن عبد ربه تأثر كثيرًا بكتاب ابن قتيبة، وبشكل كبير حتى بطريقة الترتيب والتبويب والموضوعات(١)، ولعل هذا ما يفسر ذكر العبارة ذاتها " إن أول مركب صعب "

٣ــ خطب في مجملها ضعيفة جدًا في سندها، ومضمون متنها فيه ما يخالف الواقع التاريخي الذي ثبت من الروايات الصحيحة.

ومثال ذلك: خطبة يرويها ابن أبي الحديد عن طريق أبي مخنف (٢) يقول فيها: " أن عليًا عليه السلام خطب لما سار الزبير وطلحة من مكة، ومعهما عائشة يريدون البصرة، فقال: أيها الناس، إن عائشة سارت إلى البصرة، ومعها طلحة والزبير، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه، أما طلحة فابن عمها، وأما الزبير فختنها، والله لو ظفروا بما أرادوا – ولن ينالوا ذلك أبدا – ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد. والله إن راكبة الجمل الأحمر ــ يعني عائشة رضي الله عنها ــ ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة .... أما والله لقد قتلتهم كافرين، ولأقتلنهم مفتونين! وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أنا أدخلناها في حيزنا، والله لأبقرن الباطل، حتى يظهر الحق من خاصرته، فقل لقريش فلتضج ضجيجها"(٣).

فهذه الخطبة جمعت بين ضعف الراوي (أبي مخنف)، وعدم صحة المتن لمخالفته الروايات التاريخية الصحيحة؛ حيث يظهر في متن الخطبة أن عليًا رضي الله عنه يرى أن عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ما أتوا إلا للقتال بل إن كلاً منهم يريد الفتك بصاحبه ــ كما ورد في الخطبة ــ وإن عليًا رضي الله عنه كان حريصًا على قتالهم، بينما روي بسند صحيح أن عائشة رضي الله عنها لما أقبلت وقد مرت ببعض مياه بني عامر فقالت: " أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، قالوا: مهلاً يرحمك الله، تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله بك .... " (٤).

وروى الحاكم في مستدركه: أن محمد بن طلحة رضي الله عنهما قال لعائشة رضي الله عنها يوم الجمل: يا أماه، ما تأمريني؟ قالت: "أرى أن تكون كخير ابني آدم أن تكف يدك"(٥). وهذا يتعارض مع مضمون الخطبة.

---

(١) ورد التعليق في هذا المعنى في مقدمة كتاب عيون الاخبار. الدينوري: عيون الأخبار، المقدمة، ج١، ص٦.

(٢) لوط بن يحيى أبو مخنف قيل عنه: ليس بثقة وقيل: ليس بشيء وقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، وقال الدراقطني: ضعيف. أنظر: ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، ج٣، ص٢٨.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٣٣.

(٤) ابن بلبان: علي بن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢ه/١٩٩١م، ج١٥، ص١٢٦.

(٥) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٤٢٣.

المبحث الرابع: أهم الأسباب التي تؤيد الرأي بعدم صحة بعض الخطب، وأسباب، وضعها، ونسبتها.

١ــ ظهور الفتنة في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وانقسام الناس؛ مما يعني أن هناك مؤيدًا ومعارضًا، ولعل حديث ابن سيرين عن أهمية الإسناد يدل على ظهور الوضع في الحديث النبوي في ذلك الوقت ــ وهو بغيره أحرى مما يقع فيه التساهل بصورة أكبر ــ حيث قال: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم "[(١)]. وإذا كان هذا الوضع قد حدث في الأحاديث فكيف بالروايات التاريخية!

يضاف لذلك أنه إذا كانت نصوص بعض الأحاديث النبوية الشريفة اُختلف في ضبط نصها فكيف نُسلِّم بأن كل نصوص الخطب التي وصلت إلينا صحيحة؟ كما أن الكثير منها روي بلا سند أو في الرواة نظر، وعلى وجه الخصوص في الخطب التي تقدح في عدالة الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم.

٢ــ كثير من الكتب التي جمَعَت الخطب في عصر الخلافة الراشدة لم تهتم بصحة سند الرواية فضلًا عن نقدها، بل أن الكثير منها لم يذكر إسنادًا للرواية، فعندما نستعرض كتاب الرسل والملوك للطبري والذي يعتبر عمدة في التاريخ إلَّا أن الطبري نفسه لم يؤكد صحة جميع ما ورد في كتابة فقال: " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا"[(٢)]. ومعنى كلامه أنه نقل الروايات كما نُقلت إليه.

أما كتب الأدب المشهورة فالغالب ــ إن لم يكن جميعها ــ لم تهتم بالإسناد مثل كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، والبيان والتبيين للجاحظ، وهما من الكتب التي ورد فيها مجموعة من الخطب؛ وهذا ما يجعل بعض الخطب محل نظر ونقد، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بزمن الفتنة في خلافة عثمان بن عفان حتى نهاية خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

٣ــ البعد الزماني والمكاني لمؤلفي بعض الكتب التي وردت فيها نصوص خطب للخلفاء والولاة في عصر الخلافة الراشدة.

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، ج١، ص١٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٨.

لا شك أن القرب الزماني والمكاني للمؤلف من الحدث أو الرواية التي يرويها له أثره فيما يُنقل من نصوص؛ مما يؤثر على صحة المنقول، فعندما نتتبع بعض المؤلفات المشهورة التي وردت فيها بعض الخطب نجد أن البعد الزماني والمكاني لمؤلفيها تحقق فيها، ومن تلك المؤلفات كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨هـ؛ وهو ما يعني أنه عاش في مدة متأخرة نسبيًا عن عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وقد جمع أيضًا مع البُعد الزمني البُعد الجغرافي، فهو من سكان الأندلس، ولكن عندما نطالع كتابه العقد الفريد الذي وردت فيه مجموعة كبيرة من الخطب نلاحظ أنها تتعلق بالمشرق الإسلامي، ويُروَى أن الصاحب بن عباد(١) عندما سمع بكتاب العقد لابن عبد ربه حرص على أن يكون لديه هذا الكتاب فلما تأمله قال:

"هذه بضاعتنا ردت إلينا"(٢)، وذلك أن الصاحب بن عباد كان يظن أن ابن عبد ربه سيكتب عن الأندلس لوجوده بها ما يعني أنه سيأتي بجديد.

ومع هذا كله إلا أننا لا نقلل من شأن كتاب العقد فهو من الكتب الهامة التي وصلت لنا، والتي أثرت المكتبة العربية.

٤ــ الغاية من تأليف الكتاب وأثره على العنصر التاريخي في نص الخطبة.

للغاية من تأليف الكتاب دور كبير في تركيز المؤلف على جانب وتساهله في جوانب أخرى؛ فهنالك فرق بين من يكتب لأجل الحدث التاريخي المجرد ومن يكتب في غيرة؛ فالمؤرخ يهتم بالحدث، وزمن وقوعه، والشخصيات المرتبطة بالحدث، والعلاقة بينهم؛ لكي يخرج بتصور تاريخي، وبشكل متكامل ينسجم مع بعضه البعض، أما الكتب الأدبية ــ وهنا نعني الكتب التي حوت بين طياتها خطب للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ــ هي لا تهم ــ في الغالب ــ بمناسبة الخطبة، والحدث الذي قيلت فيه، ومدى انسجامها مع الوقائع التاريخية، والسياق الزمني لها، وكل هذا قد يؤثر على صحة بعض الخطب في الميزان النقدي أو يجعلها محل نظر؛ فالأديب غالبًا يُعنى بالجوانب البلاغية ويهتم بها أكثر من غيرها، ولعل ما قاله ابن قتيبة الدينوري في كتابه " عيون الأخبار "، ــ والذي جمع فيه بعضًا من الخطب ــ ما يدل على تلك الغاية حيث قال: " وإني تكلّفت لمغفل التأدّب من الكتّاب كتابًا في المعرفة وفي تقويم اللسان .... ، مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين"(٣).

(١) إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد الوزير الملقب بالصاحب يُكنى أبو القاسم كان مولده في ذي القعدة سنة ٣٢٦هـ، وزر لمؤيد الدولة أبي منصور بويه مات الصاحب– فيما ذكره أبو نعيم الحافظ– في ٢٤ صفر سنة ٣٨٥هـ. أنظر: الحموي: ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص٦٦٣.

(٢) الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٤٦٤.

(٣) الدينوري: عيون الأخبار، مقدمة الكتاب، ج١، ص٣ ــ ٤.

ومن الأمثلة على ذلك وهو اهتمام المؤلف بالجانب الأدبي، وتساهله بالجانب التاريخي ما أورده ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد خطبة نُسبت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يروي ابن عبد ربه أنها كانت قبل وقعة الجمل يخاطب فيها علي ﷺ أهل الكوفة، وهذه الخطبة مليئة بالصور البلاغية، ولكن عندما ننظر للجانب التاريخي في الخطبة ذاتها نلاحظ أن ابن عبد ربه تساهل في هذا الجانب من الخطبة؛ حيث ذكر في هذه الخطبة والتي نسبها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله عن طلحة والزبير رضي الله عنهما: " بايعني طلحة والزبير، ثم ما لبثا أن استأذناني للعمرة فسارا إلى البصرة فقتلا بها المسلمين وفعلا الأفاعيل"(١).

وعندما ننظر لهذه الخطبة بمنظور تاريخي يتبادر لنا سؤال يتفرع منه أسئلة أخرى وهو: متى قام طلحة والزبير رضي الله عنهما بقتل المسلمين؟ وماهي الأفاعيل التي فعلوها؟ وهل يوجد مصادر أو روايات تاريخية يمكن أن نعرف من خلالها من هؤلاء المسلمين الذين قُتِلوا قبل وقعة الجمل؟

المؤكد من ذلك كله أن ابن عبد ربه لم يكن يعنيه بالدرجة الأولى من هم القتلى؟ وما هي الأفاعيل؟ ــ حسب ما زُعِمَ في الخطبة ــ إنما عُني بالنص من الناحية البلاغية، ولو لم يحدد أن هذه الخطبة ــ كما ذكر ــ قبل وقعة الجمل لاعتبرناه يعني بالمسلمين الذين قتلوا والأفاعيل التي فعلت هي ما حدث بعد الاشتباك بين الطرفين في وقعة الجمل، وما صاحبها من نتائج، ولكنه قطع الطريق على هذا التأويل بقوله: قبل وقعة الجمل.

٥ــ أبرز الكتب التي جُمعت فيها الخطب وقيمتها من منظور تاريخي في الميزان النقدي.

لعل من أشهر الكتب التي جُمعت فيها الخطب كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة تتعلق بهذا الكتاب، وهي أن هذا الكتاب من خلال اطلاعنا على الخطب المتعلقة بخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا يمكن الجزم بنفي كل ما فيه من خطب عن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو إثباتها له، فبعد الوقوف على نصوص بعض الخطب وُجِدَت خطب يرجح عدم صحتها، وفي الجانب الآخر هناك خطب هي أقرب إلى الصحة، وينطبق عليها تصنيفنا السابق للخطب المنسوبة بأنها تصنف من الخطب التي بلا سند، ولكن مضمون متنها يوافق الروايات التاريخية الصحيحة أو ما عُرف من عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فهي وإن لم تصح بنصها تصح بمعناها؛ لذلك يمكن اعتبارها أقرب إلى الصحة حتى وإن كان صاحب الرواية أو المصدر فيه نظر، ولا مانع من الأخذ بها.

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص١٦٢.

ولعل من الجيد أن نذكر ما قاله ابن تيمية، وهو يوافق ما نراه في هذا الجانب حيث قال:" المعاني الصحيحة التي توجد في كلام علي موجودة في كلام غيره، لكن صاحب " نهج البلاغة " وأمثاله أخذوا كثيرًا من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما يحكى عن علي أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره"(١).

كذلك أيَّد هذا الرأي الحافظ الذهبي فقال: " كتاب (نهج البلاغة)، المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حق، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؟!"(٢).

ومن الواضح أن ابن أبي الحديد عَرَف ما قيل عن كتاب نهج البلاغة فقام بالدفاع عن هذا المؤلَّف فقال:" إنما ذكرت هذا، لأن كثيرًا من أرباب الهوى يقولون: إن كثيرًا من نهج البلاغة كلام محدث، صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن(٣) وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم، فضلّوا عن النهج الواضح"(٤).

٦ــ بعض الخطب تتنافى مع ما عُرف من السيرة الذاتية والصفات الشخصية لمن نسبت إليه من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من خلال ما ورد من الروايات التاريخية الصحيحة.

بالإضافة لافتقاد بعض الخطب للعناصر المطلوبة لكي تصنف بأنها أقرب للصحة، إلا أن نص الخطبة أيضًا يوجد به ما يخالف ما عُرِف من صفات شخصية لمن نُسبت إليه، ومثال ذلك: خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه يُزْعَم أنه قالها عندما حُصِرَ قبل استشهاده رضي الله عنه، حيث يُظهِر متن الخطبة أنه كان رضي الله عنه في حالة جزع، وأنه يعلن (التوبة!) لكي ينجو بحياته من القتل، بالإضافة لوجود عبارات في هذه الخطبة تتنافى مع ما عُرف عنه، بل يستبعد أن يقولها شخص في نفس موقعه السياسي، والاجتماعي الذي يتمتع به.

مثال ذلك: ما روى الطبري عن الواقدي(٥). خطبة يُزعَم فيها أن عثمان رضي الله عنه عندما حُصِر قال: "أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليرونى رأيهم، فو الله لئن ردني الحق عبدًا لأستن

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١٤٠٦:١هـ/١٩٨٦م، ج٨، ص٥٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٨٩.

(٣) الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن البغدادي، الشاعر، صاحب (الديوان) قيل: هو أشعر الطالبيين مات: في المحرم وقيل: صفر سنة ٤٠٦هـ، وله سبع وأربعون سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٨٥ ــ ٢٨٦.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص١٢٧.

(٥) محمد بن عمر بن محمد الواقدي الأسلمي أبو عبد الله القاضي مولى لبنى سهم ولي القضاء ببغداد ومات بها. أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث، بيروت، ط١: ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ج٨، ص٢٠ ــ ٢١. وقال عنه الذهبي: انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة، وأن حديثه في عداد الواهي. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٨٩.

بسنة العبد، ولأذلن ذل العبد، ولأكونن كالمرقوق، إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلي...."[١].

هذه الرواية فضلًا عن سندها الضعيف جدًا[٢] فإن متنها منكر لأنه يتنافى مع ما عُرف عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل الخلافة وبعدها من رباطة الجأش، والشجاعة، والتسليم بقضاء الله وقدره، ومن الشواهد على شخصيته في مثل هذه المواقف قبل الخلافة ما روى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم بشَّره بالجنة على بلوى تصيبه، ومع ذلك لم يَرِد في الحديث الصحيح أنه جزع أو سأل النبي صلى الله عليه وسلم بأسئلة توحي بالجزع مثل: كيف؟ ولماذا؟ ومتى؟ إنما اكتفى بقوله: "الله المستعان"[٣].

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مشركي مكة في أوج العداء بين المسلمين ومشركي مكة فلم يتردد بذلك، مع أن في ذلك خطر على حياته؛ لاحتمالية قتله[٤].

أما فيما يتعلق بشخصية عثمان رضي الله عنه بعد الخلافة، فإن هذه الخطبة وردت فيها عبارات منكرة لا توافق ما عرف عن شخصيته رضي الله عنه حتى اللحظات الأخيرة من حياته، حيث دلت هذه العبارات على الضعف والإذعان في سبيل النجاة من القتل، مثل: (لأستن بسنة العبد، ولأذلن ذل العبد....)، وهذا أيضًا يخالف الروايات التاريخية الصحيحة التي بينت جوانب من شخصيته رضي الله عنه أثناء الحصار، فقد روي أنه عندما حُصِر رضي الله عنه في داره وخيَّره المُحاصِرون بين الخلع أو القتل رفض رضي الله عنه وقال:

"أَمَّا أَنْ أَخْلَعَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ فَمَا كُنْتُ لِأَخْلَعَ سِرْبَالًا سُرْبِلْتُهُ"[٥]. وهذا فيه دلاله على ثبات الرأي، والهدوء في التعامل مع الأمر الذي نزل به رغم عِظمه.

كما أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، لم يكن في حاجة لأن يطلب عطفهم بهذه الكلمات التي تدل على الضعف والخور، فقد ورد في الروايات التاريخية الصحيحة أن العديد من الصحابة ومنهم الأنصار عرضوا عليه الدفاع عنه، والقتال دونه، فرفض كل تلك العروض [٦].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٦١.

(٢) إسنادها ضعيف جدًا بالواقدي، كما أن راوي الحادثة يبعد احتمال معاصرته للحادثة والله أعلم. غبان: فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٢، ص٨٦٢.

(٣) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فإذا أبو بكر فبشرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم استفتح رجل فقال لي افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحمد الله ثم قال: الله المستعان. البخاري: الجامع الصحيح، ج٥، ص١٦.

(٤) ابن حنبل: المسند، ج١، ص٤٩٧.

(٥) الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٧، ص٢٣١. غبان: فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج١، ص٥١٣.

(٦) لمعرفة الروايات والعروض التي قدمها الصحابة رضي الله عنهم للدفاع عن عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: غبان فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج٢، ص١٩١.

ولكل ما سبق من روايات تاريخية صحيحة؛ فإن ذلك ما يؤيد الرأي بعدم صحة الخطبة لعدم توافقها مع شخصيته رضي الله عنه، ومن خلال ما تم عرضه من الشواهد.

٧ــ ظهور الطابع الشخصي، وميل المؤلف.

يظهر على بعض الخطب ميل المؤلف، والطابع الشخصي له؛ وذلك من خلال متن الخطبة أو التعليق عليها بعد روايته لها، أو من خلال عبارات ترد في سياق الموضوع في نفس المصدر، مما يُرجِّح عدم صحة الخطبة، أو يضع تساؤلات حولها، ومثال ذلك: خطبة وردت في "نهج البلاغة" يذكر فيها ابن أبي الحديد أنها للحسن بن علي رضي الله عنه يرد فيها على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، بعد أن ذكر معاوية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونال منه ــ كما ورد في الخطبة ــ فرد عليه الحسن رضي الله عنه برد يقلل من شأن معاوية وأبيه، ومما جاء في الخطبة أن الحسن رضي الله عنه قال: "قلعن الله أخملنا ذِكرًا، وألأمنا حسبًا، وشرنا قديمًا وحديثًا، وأقدمنا كفرًا ونفاقًا!" (١).

ثم علَّق ابن أبي الحديد على هذه الخطبة بقوله: "قلت: ويقول عبد الحميد بن أبى الحديد مصنف هذا الكتاب: آمين"(٢)، وقد روى هذه الخطبة الأصبهاني بنص مشابه، وعلق عليها أيضًا بقوله: "وأنا أقول: آمين" (٣).

ومن خلال هذه التعليقات بعد الخطبة يتضح للقارئ الاتجاهات الشخصية، وميول المؤلف، وكان الأحرى بهما أن يتركا التعليق، والذي لا نرى به إضافة علمية تخدم النص، ولكيلا يجعلا الموضوعية في موضع التساؤل.

بالإضافة لما ذكرنا من جوانب نقدية تختص بهذه الخطبة تتعلق بظهور الطابع الشخصي للمؤلف وميله، فإن الأصفهاني روى أنها كانت بعد تنازل الحسن بن علي ومبايعة معاوية بالخلافة (٤)، والثابت في الروايات الصحيحة أن كلا الطرفين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما كان يميلا للصلح، ومن هذه الروايات رواية البخاري في صحيحة(٥).

فإذا كان الجميع يميل للصلح، فمن المعلوم أن جميعهم في هذه الحالة سيكون شديد الحرص على تسكين الأمور فكيف نوفق بين هذه الخطبة وبين تلك الروايات؟

٨ــ خطب يعرضها مصدر ما ثم يناقضها بأخرى.

تفتقد بعض الخطب للسند، وهذا كافٍ للحكم بضعفها، كما يضاف للبعض الآخر منها عناصر ضعف أخرى، ومن ذلك أنها تناقض خطبًا أخرى في نفس

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٤٧.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٤٧.

(٣) الأصبهاني: علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، دار المعرفة، بيروت، ص٧٨.

(٤) الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٧٨.

(٥) البخاري: الجامع الصحيح، حديث رقم ٢٧٠٤، ج٣، ص٢٤٣.

المصدر، فضلًا عما يتعارض معها أيضًا من الروايات التاريخية الصحيحة، ومن الأمثلة على ذلك: خطبتين ذكرهما صاحب العقد في موضعين مختلفين يُزْعَم فيهما أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أمر بلعن علي رضي الله عنه! ففي واحدة يطلب من أخيه عقيل أن يلعنه! (١)، وفي الأخرى يطلب من أحد أبرز أتباع علي رضي الله عنه أن يلعنه أيضًا! (٢)، وفي الجانب الآخر، وعلى النقيض من ذلك نجد في كتاب " العقد الفريد" عنواناً نصه: "تفضيل معاوية للحسن" (٣)، ويُذكَر فيه أن معاوية رضي الله عنه قال يومًا لجلسائه: من أكرم الناس أبا وأمًّا، وجدًّا وجدة، وعمًّا وعمة، وخالًا وخالة؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم. فأخذ بيد الحسن بن علي وقال: هذا؛ أبوه علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة ابنة محمد، وجدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدّته خديجة، وعمه جعفر، وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن محمد، وخالته زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم (٤).

نلاحظ في نص الخطبتين السابقتين ما يدل على المبالغة في الكراهية ــ كما يُزعَم فيهما ــ بينما في الخبر غاية التقدير والاحترام، والاعتراف بالفضل من الشخص ذاته للحسن، ولأبيه، ولأهل بيته جميعهم.

ولكن الجانب المهم هنا كيف لنا أن نوفق بين ذلك التاقض؟

في هذه الحال يكون منهجنا بأن الصحابة كلهم عدول، وأنهم استنوا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وتحلوا بأخلاقه، فنأخذ بما يوافق هذا، ونرفض ما سواه.

أما الجاحظ أحد الذين ألفوا كتبًا حوت مجموعة من خطب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فقد وصف تناقضه ابن قتيبة بشكلٍ عام فقال: " ثم نصير إلى الجاحظ، وهو آخر المتكلمين، والمعاير على المتقدمين، وأحسنهم للحجة استثارة، وأشدهم تلطفا لتعظيم الصغير، حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار إلى أن يعمل الشيء ونقيضه .... تجده يحتج مرة للعثمانية على الرافضة، ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة، ومرة يفضل عليًا رضي الله عنه، ومرة يؤخره(٥).

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص١١٤.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٢٩٨.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٣٤٤.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٣٤٤ ــ ٣٤٥.

(٥) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١١١.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث أحمد الله أولًا وآخرًا على ما وفقنا له.

النتائج:

١- خطب الخلفاء الراشدين ﷺ تُعَدُ مصدرًا غنيًا بالمعلومات التاريخية المهمة عن عصر الخلافة الراشدة.

٢- خطب الخلفاء الراشدين ﷺ كانت نتيجة لحاجة اقتضتها طبيعة الأحداث، ولم تكن لغاية أدبية، أو لعرض مهارة لغوية.

٣- كانت خطب الخلفاء الراشدين ﷺ مختصرة في معظمها، وعلى وجه الخصوص الخطب العسكرية؛ لأن المقام لا يسمح بالأطناب.

٤- اشتملت بعض المصادر التاريخية والأدبية على خطب ظهر عدم صحتها، ونُسِبَت للخلفاء الراشدين ﷺ.

٥- تعددت العوامل التي كانت سببًا في ظهور خطب لا تصح نسبتها للخلفاء الراشدين ﷺ والولاة في عهدهم ومن أهما:

أ- ميول المؤلف، وبعده الزمني والجغرافي عن الأحداث. ب - ظهور مؤلفين لديهم الرغبة بإنتاج محتوى بطابع أدبي يجذب القارئ؛ ولذلك جاءوا بكل ما هو غريب.

٦- تكرر ورود خطب منسوبة للخلفاء الراشدين ﷺ في مصادر متعددة، وبعضها لا يصح، وهذا التكرار أعطى تصورًا بشكل غير مباشر أنها صحيحة؛ نتيجة لشيوعها، وتكرارها في أكثر من مصدر.

٧- تميزت خُطب الخليفتين الراشدين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما باحتوائهما على أحاديث نبوية شريفة، وذلك إما بإظهار فضائلهما أو بالإخبار عن وقائع مستقبلية، وقد حدثت بالفعل فيما بعد في عصر الخلافة الراشدة، وهي من دلائل نبوته ﷺ.

٨- بعض خطب الخلفاء الراشدين ﷺ وردت في مصادر حديثية، ولكن كثيرًا من المهتمين في الجانب التاريخي والأدبي لم يوردوها في مؤلفاتهم؛ وذلك لأنها كانت في ثنايا موضوعات حديثية صرفه.

٩- ورود أحاديث نبوية شريفة في خطب الخلفاء الراشدين ﷺ جعل هذه الخطب محل اهتمام كثير من المحدثين؛ مما ساهم في تدوينها، وبيان صحتها.

١٠- ورد الكثير من خطب الخلفاء الراشدين ﷺ في عدة مصادر ومراجع معاصرة، وكان يظهر على البعض منها عدم الصحة بشكل واضح، ولكن قلَّما وُجِد من علَّق عليها عدا القليل منها.

١١- العديد من خطب الخلفاء الراشدين ﷺ لم ترد بإسناد، والبعض منها ورد في مصادر فيها نظر، إلا أن لبعض الخطب شواهد تجعلها أقرب إلى الصحة من حيث المعنى؛ ولذلك يمكن قبول معناها.

فهرس المصادر والمراجع:

المصادر:

١. **ابن أبي الحديد:** عبد الحميد بن هبة الله بن محمد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧٩ه.

٢. **ابن أبي شيبة:** عبد الله بن محمد بن إبراهيم، المصنف، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ــ المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٠٩ه.

٣. **ابن الأثير:** عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤٢٣ه/٢٠٠٣.

٤. **ابن الأثير:** عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٥. **ابن بلبان:** علاء الدين علي بن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤١٢ه/١٩٩١م.

٦. **ابن تيمية:** أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦ه/١٩٩٥م.

٧. **ابن تيمية:** أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ــ المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨. **ابن الجوزي:** أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٠٦ه.

٩. **ابن حبان:** محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٩٣ه/١٣٧٣م.

١٠. **ابن حجر:** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٥ه.

١١. **ابن حجر:** أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه.

١٢. **ابن عبد البر:** يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١: ١٤١٢ه ــ ١٩٩٢م.

١٣. **ابن عبد ربه:** أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٤:١ه.

١٤. **ابن قتيبة:** عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢: ١٤١٩ه/١٩٩٩م.

١٥. **ابن كثير:** إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة ــ مصر، ط١: ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م.
١٦. **ابن منظور:** محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣: ١٤١٤ه.
١٧. **ابن هشام:** عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ط٢: ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
١٨. **أبي حاتم:** عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث، بيروت، ط١ :١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
١٩. **الأصبهاني:** علي بن الحسين بن محمد، مقاتل الطالبيين، دار المعرفة، بيروت.
٢٠. **الجاحظ:** أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧: ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.
٢١. **الجرجاني:** علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م.
٢٢. **الحاكم:** أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١١ه/١٩٩٠م.
٢٣. **الحموي:** ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١: ١٤١٤ه/١٩٩٣م.
٢٤. **الدارمي:** أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، مسند الدارمي، تحقيق حسين سليم، دار المغني، الرياض ــ المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.
٢٥. **الدينوري:** أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الاخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤١٨ه.
٢٦. **الذهبي:** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ه/١٩٨٥.
٢٧. **الشهرستاني:** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز أحمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧ه/١٩٦٨م.
٢٨. **الصنعاني:** أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٢: ١٤٠٢ه.
٢٩. **الطبري:** محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢: ١٣٨٧هـ.
٣٠. **الفسوي:** يعقوب بن سفيان بن جوان، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١: ١٤١٠ه.
٣١. **الفيروز آبادي:** محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة: ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.

٣٢. **مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١: ١٤١٢ه/١٩٩١م.
٣٣. **النووي:** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق ياسر عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١: ١٤٠٨ه.
٣٤. **الهيثمي:** أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت.

المراجع:

ابن عاشور: محمد الطاهر، أصول الإنشاء والخطابة، تحقيق ياسر حامد المطيري، دار المنهاج، الرياض ــ المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٣٣هـ.
جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، دار الساقي، بيروت، ط٤: ١٤٢٢ه/٢٠٠١.

الرسائل العلمية:

غبان: محمد عبد الله عبد القادر، فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢: ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م.

المجلات:

السيف: عبد الله محمد ناصر، الثابتون على الإسلام في شرق الجزيرة العربية أثناء حركة الردة، مجلة دارة الملك عبد العزيز، مجلد٣٠ / العدد ١، محرم ٢٠٠٤م.